شرح
القصيدة اللامية

شيخ الإسلام

أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرّاني

رحمه الله تعالىٰ

لفضيلة الشيخ

زيد بن محمد المدخلي

-حفظه الله تعالىٰ-

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

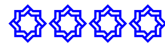
[أشرطة مفرغة]

أعدّ هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

يا سَائِلي عَنْ مَذْهَبي وعَقيدَتي ... رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايَةِ يَسْأَلُ
اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ في قَوْلِهِ ... لا يَنْثَني عَنْهُ ولا يَتَبَدَّلُ
حُبُّ «الصَّحابَةِ» كُلِّهُمْ لي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبى بِها أَتَوَسَّلُ
وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاَ وَفَضَائِلٌ [١] ... لكِنَّما «الصِّدِّيقُ» مِنْهُمْ أَفْضَلُ
وأَقُولُ في «القرآن» ما جاءَتْ بِهِ ... آياتُهُ فَهُوَ القَديمُ[٢] المُنْزَلُ
وَأَقُولُ قالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ ... وَالْمُصْطَفَى الْهادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ
وجميعُ «آياتِ الصِّفاتِ» أُمِرُّها ... حقاً كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ
وأَرُدُّ عُهْدَتَها إلى نُقَّالِها ... وأصونُها عن كُلِّ ما يُتَخَيَّلُ
قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ «القُرَانَ»[٣] وراءَهُ ... وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ قالَ «الأخطَلُ»
وَالْمُؤمِنُونَ يَرَوْنَ حقاً ربَّهُمْ ... وإلى السَّماءِ بغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
وأُقِرُّ بالميزانِ والحَوضِ الذي ... أَرجو بأنِّي مِنْهُ رِيّاً أَنْهَلُ
وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمٍ ... فَمُسَلَّمٌ[٤] نَاجٍ وآخَرُ مُهْمَلُ
والنَّارُ يَصْلاها الشَّقيُّ بحِكْمَةٍ ... وكذا التَّقيُّ إلى الجِنانِ سَيَدْخُلُ
ولِكُلِّ حَيٍّ عاقِلٍ في قَبْرِهِ ... عَمَلٌ يُقارِنُهُ هناكَ وَيُسْأَلُ
هـٰذا اعتقادُ الشافِعيِّ ومالكٍ ... وأبي حنيفةَ ثم أحمدَ يَنْقِلُ
فإنِ اتَّبَعْتَ سبيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ[٥] ... وإنِ ابْتَدَعْتَ فَما عَلَيْكَ مُعَوَّلُ



(١) في نسخة: قَدْرٌ وَفَضْلٌ ساطِعٌ.
(٢) في نسخة: فَهُوَ الكَرِيمُ المنَزَّلُ.
(٣) في نسخة: الكِتابَ.
(٤) في نسخة: فَمُوَحِّدٌ
(٥) في نسخة: فَمُوَحِّدٌ

بسم الله الرحمٰن الرحيم

يا سَـائِلي عَـنْ مَـذْهَبي وعَقيـدَتِي رُزِقَ الهُـدى مَـنْ لِلْهدايـةِ يَسْـأَلُ

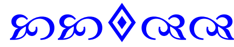
[الشرح]

يقول ابن تيمية رحمه الله:

(يا سَائِلي عَـنْ مَـذْهَبي وعَقيـدَتِي رُزِقَ الهُـدى مَـنْ لِلْهدايـةِ يَسْـأَلُ)

هـٰذا الخطاب موجه للناس جميعا؛ من يريد أن يعرف مذهب هـٰذا الإمام وعقيدته فليصغي إلى ما سطّره في هـٰذه الأبيات القليلة فيما يتعلق بعقيدته التي لقي الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عليها.

والشطر الثاني فيه دعاء منه -رحمه الله- بالهداية لمن يسأل عن سبيل الهداية (رُزِقَ الهُدى) يعود على السائل (يا سَائِلي عَنْ مَذْهَبِي) يعني هـٰذا مذهبه في الاعتقاد (وعَقيدَتِي، رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ).



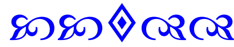
اسْمَـعْ كَـلامَ مُحَقِّـقٍ في قَوْلِـهِ لا يَنْـثَني عَنْـهُ ولا يَتَبَـدَّلُ

[الشرح]

ثم بدأ شرع بالبيان عن معتقده:

(اسْمَـعْ كَـلامَ مُحَقِّـقٍ في قَوْلِـهِ لا يَنْـثَني عَنْـهُ ولا يَتَبَـدَّلُ)

وعد منه بأن سيبين معتقده بالأدلة من الكتاب والسنة، وهـٰذا هو المحقَّق، فهو محقِّق في قوله؛ لأنه ينطلق من نصوص الكتاب والسنة، (لا يَنْـثَني) لا يرجع عنه، وقوله: (لا يَتَبَـدَّلُ)؛ لأنه يقول الحق بنصوص شرعية صحيحة صريحة يبيِّنُها بمعانيها الصّحيحة، ولا يتأول شيئا منها تأويلا مذموما.



حُبُّ «الصَّحابَةِ» كُلِّهُـمْ لي مَـذْهَبٌ وَمَـوَدَّةُ القُـرْبى بهـا أَتَوَسّـلُ

[الشرح]

ثم بدأ بعقيدته في أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال:

(حُبُّ «الصَّحابَةِ» كُلِّهُـمْ لي مَـذْهَبٌ وَمَـوَدَّةُ القُـرْبى بهـا أَتَوَسّـلُ)

فبيَّن معتقده، وأنه معتقد أهل السنة والجماعة الذين مذهبهم حب أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكنّا نتحدث قريبا في هــٰذا الموضوع بالذات[1] حب أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وأرضاهم، وعرفنا منازلهم، وعرفنا أن أفضلهم الخلفاء الأربعة، وأن كل واحد منهم على فضل عظيم وجانب من الخير كبير، وإن كان بعضهم أفضل من بعض؛ كما أخبر الله –عز وجل– عن أفضلية المهاجرين ويتبعهم الأنصار ويأتي من بعدهم أتباعهم، وبيّن أفضلية من قاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح على من قاتلوا وأنفقوا من بعد الفتح، وبيّن فضل أصحاب الشجرة بيعة الرضوان، وبيّن أيضا فضل أصحاب بدر، إلى غير ذلك من الثناء على أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

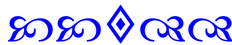
فبيّن هــٰذا الإمام الجليل أنه يعتقد حبّ أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فلم يسلك مسلك الرّوافض الذين غلوا في بعضٍ كعلي بن أبي طالب وأهل بيته، وجفوا آخرين كأبي بكر وعمر وعثمان وأبي هريرة وحفصة وعائشة وغيرهم، واتهموهم بالنفاق.

و لم يسلك مسلك الخوارج الذين كفروا عليا ومن معه واستحلوا دماءهم وأموالهم.

وهــٰذا هو معتقد الطائفة الناجية المنصورة.

وابن تيمية –رحمه الله– يقول هــٰذا هو مذهبه؛ حب أصحاب رسول الله على التفصيل الذي مضى (وَمَوَدَّةُ القُرْبى بِها أَتَوَسَّلُ) أي يودّ قرابة النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كما سبق معنا في العقيدة الواسطية قريبا: حب قرابة النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الذين آمنوا به، وحب زوجاته الطاهرات المطهرات، حبهم فرض وواجب ولا يجوز بغضهم وهضم حقهم أبدا، لذا قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[الشورى:٢٣]، أي تودوا قرابتي من أجلي.



وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاً وَفَضَائلٌ ... لكِنَّما «الصِّديقُ» مِنْهُمْ أَفْضَلُ

[الشرح]

يقول رحمه الله:

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاً وَفَضَائلٌ ... لكِنَّما «الصِّديقُ» مِنْهُمْ أَفْضَلُ

(1) في شرح العقيدة الواسطية.

لكل واحد من أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منزلة رفيعة عند الله وقدر عظيم عند الله والصالحين من عباد الله؛ لكن الصديق أعظمهم فضلاً وخيرهم بعد النبي الكريم -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- وبعد الرسل والأنبياء السابقين.

ثم بعد الصديق: عمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلي بن أبي طالب أبا السبطين.

هـٰـذه عقيدة الإمام ابن تيمية فيما يتعلق بأصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وأقولُ في «القُرآنِ» مـا جـاءَتْ بـهِ   آياتُـهُ فَهُـوَ القَـديمُ المُنْـزَلُ

[الشرح]

قال:

وأقولُ في «القُرآنِ» مـا جـاءَتْ بـهِ   آياتُـهُ فَهُـوَ القَـديمُ المُنْـزَلُ

هـٰـذا بيان لمعتقده في القرآن الكريم، فهو يؤمن بأنّ القرآن الكريم كتاب الله منزّل غير مخلوق، من الله بدأ وإليه يعود، وأنّه حروف وكلمات وآيات وسور كلها كلام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ليس منها شيء من كلام البشر أبدًا، فجبريل مبلغ ومحمد مبلغ -عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، والناس يتلون هـٰـذا القرآن الذي هو كلام الله -عز وجل- بأصواتهم ويكتبونه بأقلامهم، وذلك لا يخرجه عن كونه كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهـٰـذا معتقد أهل السنة والجماعة مشى عليه هـٰـذا الإمام ابن تيمية رحمه الله.

قال: (**وأَقُولُ في القُرآنِ ما جاءَتْ بِـهِ آياتُـهُ**) جاء في الآيات والأحاديث بأن القرآن منزّل من عند الله وأنه كلام الله، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾[التوبة:٦]، وكما قال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف:٢]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[الدخان:٣].

إذن فهو منَزَّل من عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، تكلّم به قولا، وأنزله وحيا، وبلّغه جبريل، وبلّغه محمد بدون زيادة ولا نقصان.

فنسبته إلى جبريل وإلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسبة تبليغ، ونسبته إلى الله -عز وجل- هو كلامه؛ قوله حقيقة.

لا كما يقول أهل البدع والضلال من أن القرآن مخلوق:

ومنهم من نفى هـٰذه الصفة كغيرها من الصفات نفيا باتا.

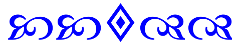
ومنهم من خبَّط فيها بدون علم فقالوا: إن القرآن كلام الله لا حرف ولا صوت، ونحو ذلك.

ومنهم من توقّف.

وكل هـٰذا ضلال.

والمعتقد الصحيح هو ما مشى عليه أهل السنة والجماعة، ومنهم هـٰذا الإمام الجليل فإن عقيدته في القرآن ما جاءت به آيات القرآن.

قال: (فَهُوَ القَدِيمُ المُنزلُ) والمراد به أنه صفة الله؛ أنه قديم النوع، حادث الآحاد، وهـٰذا ما يعبّر به السلف في القرآن يقولون: قديم النوع حادث الآحاد. أي إنه صفة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- من صفاته وحادث الآحاد أي النزول، فإن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أنزله في ثلاث وعشرين سنة على قول جمهور أهل العلم، تنزيل السورة وتنزيل الآيات وتنزيل آية واحدة، وهكذا حتى اكتمل نزول القرآن والسنة المطهرة في ثلاث وعشرين سنة، ولما اكتمل الوحيان انتقل النبي الكريم -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- إلى الرفيق الأعلى، توفّاه الله كغيره من الرسل والأنبياء الذين سبقوه، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[الأنبياء:٣٤]، وأخبر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٤]، اشتملت نزولا دل على ذلك مفهوم الكتاب والسنة.



وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ

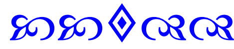
[الشرح]

قال رحمه الله:

(وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ)

يعني يقول في القرآن الكريم بل وفي غيره من الصفات يقول بما قال الله وبما قال الرسول الهادي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، والذي قاله الله وقاله رسوله أن القرآن منزل من عند الله غير مخلوق، كما ثبت في الآيات التي ذكرها آنفا ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[الدخان:٣]، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾[التوبة:٦]، ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾[الجن:١]، وقوله عز

وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٣-٤]، آيات القرآن شاهدة بأن القرآن منزل من عند الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه قديم النوع وحادث الآحاد، و لم ينزل جملة واحدة وإنما نزل مفرقا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الحوادث والوقائع والأسئلة التي ترد على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيأتي جوابها من عند الله، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ﴾[البقرة:١٨٩]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾[البقرة:٢١٩]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾[البقرة:٢١٧]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾[الأنفال:١]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[النازعات:٤٢]، أسئلة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتيه الجواب من عند الله فيجب، وما قاله الله عز وجل بلغه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



وجميعُ «آيـاتِ الصِّـفاتِ» أُمِرُّهـا حَقـاً كمـا نَقَـلَ الطِّـرازُ الأَوَّلُ

[الشرح]

يقول رحمه الله -إمام المسلمين- في لاميته:

(وجميعُ «آياتِ الصِّـفاتِ» أُمِرُّهـا حَقـاً كمـا نَقَـلَ الطِّـرازُ الأَوَّلُ)

آيات الصفات في كتاب الله -عز وجل- يجب إمرارها كما جاءت، وهـٰذا مذهب السلف في كل زمان ومكان، إمراراها كما جاءت، لِمَا جاءت له.

وليس المراد بالإمرار التفويض، وإنما المراد (إمرارها كما جاءت) للمعاني التي جاءت لها بالفهم الصحيح، فكلما وجدنا نصا من القرآن فيه إثبات اسم لله أو صفة لله -عز وجل- نُمرّها كما جاءت؛ أي للمعنى الذي جاءت له مبينين ذلكم المعنى.

فمثلا قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة:١٢٠]، ﴿قَدِيرٌ﴾ اسم لله عز شأنه، من أسماء الله الحسنى، دلّ على إثبات صفة القدرة صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله لا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل، هـٰذا معنى الإمرار؛ إمرارها مع بيان ما دلت عليه من المعاني.

ومثل ذلك النصوص النبوية التي جاءت في باب الأسماء والصفات كقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، مَن أحصاها دخل الجنة»،[1] فيؤمن المؤمن

[1] البخاري كتاب التوحيد (٧٣٩٢) ، مسلم كتاب الذكر (٢٦٧٧) .

بهـٰذه الأسماء، وليس المقصود منها الحصر أيضا، وإنما لله أسماء حسنى استأثر بعلمها كما في الدعاء المأثور «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[1] الحديث، ودلالتها على الصفات ظاهرة لذا قال رحمه الله:

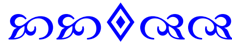
(وجميعُ ((آياتِ الصِّفاتِ)) أُمِرُّها حَقاً كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ)

أي من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتبعهم على ذلك أئمة العلم من التابعين وأتباع التابعين من القرون المفضلة، ومشى على هـٰذا الدرب أتباع الطائفة الناجية المنصورة.

والمراد بـ(**الطِّرازُ الأَوَّلُ**) أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و أهل القرون المفضلة

(وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ)

يعني يقول في هـٰذا الباب باب الأسماء والصفات بما قال الله -جل جلاله- من إثبات الأسماء الحسنى.



وأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إلى نُقَّالِهَا وأصونُها عن كُلِّ ما يُتَخَيَّلُ

[الشرح]

يقنل رحمه الله:

(وأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إلى نُقَّالِهَا وأصونُها عن كُلِّ ما يُتَخَيَّلُ)

(**وأَرُدُّ عُهْدَتَهَا**) أي جميع نصوص الصفات، (**إلى نُقَّالِهَا**) يعني إلى من نقلوا نصوص الصفات، لأن الدين أُخذ من الثقات عن الثقات، كتابُ الله وسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فالثقات رواياتهم مقبولة وعلومهم منقولة، وهم أهل الصواب.

ويجب صيانتها من التحريف والتأويل الباطل والتعطيل، وكما يجب أيضا صيانتها عما يتخيله أهل الباطل من أهل البدع والضلال ممن ضلوا في هـٰذا الباب.



قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ ((القُرَانَ)) وراءَهُ وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ: قالَ ((الأخطَلُ))

---

[1] رواه أحمد (١/٣٩١، ٤٥٢)، وابن حبان رقم ٢٣٧٢ (موارد)، والحاكم (١/٥٠٩)، وذكره الشيخ الألباني في الأحاديث الصحيحة رقم (١٩٩) .

[الشرح]

ثم قال:

(قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ «القُرانَ» وراءَهُ   وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ: قالَ «الأخطَلُ»)

هـٰذا دعاء على من يترك في الاستدلال سواء في هذا الباب -باب الأسماء والصفات- أو غيره يترك الاستدلال بما قال الله وقال رسوله ويعمد إلى أقوال الرجال.

وفي قوله: (قالَ «الأخطَلُ») يشير إلى الذين حرّفوا صفة الاستواء فسّروا الاستواء وهم الأشاعرة فمن فوقهم من المعتزلة والجهمية فسروا الاستواء بالاستيلاء.

أما الجهمية فنفوا الصفات نفيا باتا، و المعتزلة كذلك نفوا الصفات.

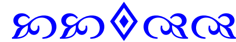
والأشاعرة هم الذين أولوا تأويلا باطلا فقالوا في صفة الاستواء ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]؛ أي استولى واستدلوا على هذا التفسير الخاطئ بقول الأخطل النصراني:

بشر قد استوى على العراق		من غير سيف أو دم مهراق

لذلك أشار إلىٰ هذا البيت الإمام ابن تيمية -رحمه الله- وخطّأ من تمسكوا به واستدلوا على أن الاستواء يفسر بالاستيلاء وعلى ذلك كلام العرب، والأخطل النصراني ليس من العرب، وليس ممن يعتد بعربيته، قالوا: يفسر الاستواء بالاستيلاء بدليل قول الشاعر:

بشر قد استوى على العراق		....

أي استولى وتركوا تفسير السلف الصالح وأتباعهم الذين هم أولى بفهم نصوص الكتاب والسنة وأولى بفهم أبواب العلم لاسيما هذا الباب العظيم الذي هو أصل الدين وقاعدته.



وَالْمُؤمِنُونَ يَرَوْنَ حقاً ربَّهُمْ   وإلى السَّماءِ بغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزلُ

[الشرح]

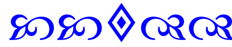
هـٰذا البيت:

(وَالْمُؤمِنُونَ يَرَوْنَ حقاً ربَّهُمْ   وإلى السَّماءِ بغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزلُ)

في بيان شيئين من منهج أهل السنة والجماعة:

١- رؤية المؤمنون ربهم في الجنة، كما ثبت بذلك نصوص الكتاب والسنة، وكما مضى بيانه في العقيدة الواسطية لصاحب المنظومة.

٢- (وإلى السَّمــاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ) إشارة إلى حديث النزول الذي قال فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يترل ربُّنا كل ليلة إلى السماء الدنيا إذا بقي ثلث الليل، ويقول: هل من داع فأجيبه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ حتى يبرز الفجر**»[1]؛ ولكن لا يجوز أن يُسأل عن كيفية النّزول، ولا يجوز أن يُسأل عن كيفية الذات والصفات عموما؛ وإنّما يُسأل عن معانيها، وأما عن الكيفية فلا يجوز.



وأُقِــرُ بالميـــزانِ والحَــوضِ الــذي أَرجـــو بـــأنّي مِنْــهُ ريّــاً أَنْهَـــلُ

[الشرح]

بيان لمعتقد أهل السنة والجماعة وأهم يؤمنون بالميزان لأنه جاء في القرآن ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾[الأعراف:٨]، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩)﴾[القارعة:٦-٩].

وكذلك وجوب الإيمان بالحوض؛ حوض النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي جاء وصفه بالسنة وصفه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأن طوله وعرضه سواء مسيرة شهر، وأنه أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن، من شرب منه شربة لا يضمأ بعدها أبدا [2]، يؤمن به أهل السنة والجماعة وهـٰذا إمام من أئمتهم ابن تيمية رحمه الله، وذكر حُسْنَ الرجاء بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وأن يكون ممن يشرب وينهل من الحوض الذي يؤمن به.

وأنكر الحوض والميزان المعتزلة والخوارج وأتباعهم بدون دليل ولا مسوغ وإنما هو بالتأويل الباطل.



[1] البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، حديث رقم (١١٤٥).
مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، حديث رقم (٧٥٨).

[2] أنظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته.
وأنظر أيضا صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب في الحوض.

وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّم فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وآخَرَ مُهْمِلُ

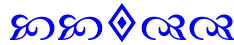
[الشرح]

فمعتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بالصراط الذي يُنصب على متن جهنم، تَعْبُرُه الخلائق على قدر أعمالهم:

فمنهم الناجي الذي لا تمسه النار، كمن يمرّ عليه كالبرق وكالريح.

ومنهم (المهمل) بمعنى غير الناجي، من تمسه النار وتخطفه الكلاليب التي على الصراط بقدر جريمته ومعاصيه.

وهـٰذا الصراط الحِسِّي يؤمن به أهل السنة والجماعة، وأنّه لا وصول إلى الجنة إلا بعد المرور على الصراط، وقد دلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[مريم:٧١]، فإن الورود عند جمهور المفسرين المراد به المرور على الصراط.



والنَّارُ يَصْلاها الشَّقيُّ بحِكْمَةٍ وكذا التَّقِيُّ إلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

[الشرح]

هـٰذا مذهب أهل السنة والجماعة استنادا إلى قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[الشورى:٧].

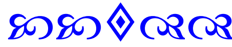
الأشقياء في النار والعياذ بالله حكمة من الله وعدلا.

والأتقياء في الجنة رحمة من الله وفضلا.

فلا يُسَوِّي الخلاّق العليم بين الأشقياء وبين الأتقياء في الجزاء؛ لأنهم لم يستووا في العمل، قال عز وجل: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[القلم:٣٥-٣٦]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[الجاثية:٢١].

إذن من دخل النار فهو بعدل الله وحكمته، ثم بالعمل الذي أسلفه في حياة العمل –عمل السوء والشر– الذي حذره الله من الوقوع فيه ومزاولته.

ومن دخل الجنة فبفضل الله ورحمته ثن بالعمل الذي أسلفه بحياة العمل، كما قال عز شأنه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[الحاقة:٢٤]، أي أهل الجنة قال عز وجل في النار: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾[الليل:١٥] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[الليل:١٧-١٨].



ولِكُلِّ حَيٍّ عاقِلٍ في قَبرِهِ عَمَلٌ يُقارِنُهُ هناك وَيُسْأَلُ

[الشرح]

هـٰذا حق؛ وجوب الإيمان أنه معتقد الطائفة الناجية المنصورة؛ وجوب الإيمان بسؤال القبر، بالسؤال في القبور، وأن القبر إما نعيم، وإما عذاب، إما نعيم للمؤمنين الذين يلهمهم الله الحجة؛ لأنهم أتوا بالأسباب النافعة من عمل الصالحات وترك المنكرات، فيجيبون بما يكون سببا في نجاتهم، فيقول المؤمن: الله ربي والإسلام ديني ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيي.

وقد ثبت[1] عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يأتي إلى الميت في قبره عمله:

يأتي للمؤمن في صورة شاب حسن فيستغرب مجيئه المؤمن، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الحسن الذي يأتي بالخير، فيقول له: أنا عملك الصالح. فيستأنس به.

والشقي يأتيه في صورة مخيفة ورهيبة، فيقول له: من أنت فوجهك وجه الذي يأتي بالشر، فيقول له: أنا عملك.

وهذا حق لأنه ثابت بالنص عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهو القرين الذي يقارنه في قبره.

وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إذا مات الميت يتبعه ثلاث، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه المال والأهل والعمل، فيرجع المال والله يبقى العمل**»[2] فإما أن يكون صالحا فيؤنسه وإما أن يكون طالحا فيوحشه، لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال المؤلف رحمه الله:

---

(١) أورده الحديث كاملا الشيخ الألباني في أحكام الجنائز وبدعها المكتب الإسلامي ط٤، صفحة ١٥٦، وقال: أخرجه أبو داود والحاكم والطيالسي وأحمد.. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي وهو كما قالا.

(٢) البخاري: كتاب الرقائق، باب سكرات الموت، حديث رقم (٦٥١٤).

مسلم: كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم (٢٩٦٠).



هـــٰذا اعتقــادُ الشــافِعيِّ ومالــكٍ وأبي حنيفـــةَ ثم أحـــــمدَ يَنْقِـــــلُ

[الشرح]

(يُنْقَـــلُ) عنهم؛ يعني ما ذكر في هــٰذه القصيدة اللامية من أصول الاعتقاد هو مذهب للأئمة الأربعة جميعا، فإنهم كلهم على عقيدة واحدة، إلا ما نذر كمخالفة أبي حنيفة في تعريف الإيمان وأنّه أرجأ العمل مع إثاب الأحناف بأن المطيع يثاب على طاعته والعاصي يعاقب على معصيته، وأما أبو حنيفة ومخالفته لأهل السنة والجماعة في كلام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في القرآن وأنه مخلوق فهو رجع عنه و لم يبق عليه أبدا، رجع إلى أهل السنة والجماعة.



فَنُعْمَانُهُمْ ((قَـــانِ)) وَ((طعْـــقٌ)) لِمَالِـــكٍ	وَللشَّافِعِي ((دُرٌّ)) وَ((رُمْ)) لابْنِ حَنْبَـــلِ(١)

هــٰذا البيت فيه تصحيف. فالقافية تختلف.



فـــإنِ اتَّبَعْـــتَ ســـبيلَهُمْ فَمُوَفَّـــــقٌ وإنِ ابْتَدَعْتَ فَمـــا عَلَيْــكَ مُعَـــوَّلُ

[الشرح]

البيت الأخير السابع عشر هو الذي يتعلق بالأبيات الأولى:

(فـــإنِ اتَّبَعْـــتَ ســـبيلَهُمْ فَمُوَفَّـــــقٌ وإنِ ابْتَدَعْتَ فَما عَلَيْــكَ مُعَـــوَّلُ)

المعنى إن اتبعت سبيل الأئمة الأربعة فذلك علامة التوفيق للحق، وإن خالفتهم وابتدعت قولا أو أقوالا غير ما رأوا واعتقدوا فلا يُعَوَّلُ على من فعل ذلك، يعني لا يُعْتَدُّ ويعتبر من أهل الاتِّباع وإنما يعتبر من أهل الابتداع. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



---

(١) هــٰذا البيت يرمز لوفيات الأئمة الأربعة بحساب الجمل:

((قَانِ)): ١٠٠+١+٥٠=١٥١هـ

((طعْقٌ)): ٩+٧٠+١٠٠=١٧٩هـ

((دُرٌّ)): ٤+٢٠٠=٢٠٤هـ

((رُمْ)): ٢٠٠+٤٠=٢٤٠هـ

واللامية من بحر الكامل وهــٰذا البيت من بحر الطويل، وآخر قافية اللامية مضمومة، وآخر قافية هــٰذا البيت مكسورة.